مجلة الإحياء، المجلد 24، العدد: 35، سبتمبر 2024، ص - ص: 461 - 472
الترقيم الدولي: 1112-4350 الترقيم الدولي الإلكتروني: 2588-2406

المرأة والصنائع في المغرب الأوسط ق 2-9هـ/8-15م
Women and occupations in the Center Maghreb 2-9 AH / 8-15 AD

د/ نوال بزة [1]
Nawal BEZZA
مخبر دراسات في التاريخ والثقافة والمجتمع
nawal.bezza@univ-batna.dz
أ.د/ علي عشي
Ali ACHI
مخبر الأبحاث والدراسات متعدد التخصصات في القانون والتراث والتاريخ
ali.achi@univ-batna.dz
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية - جامعة باتنة1

تاريخ الإرسال: 2023/05/12 تاريخ القبول: 2024/06/04

الملخص:
المرأة هي الأم والأخت والزوجة والابنة، لذلك كان لها الدور الفعال في المجتمع إلى جانب الرجل، وفي هذه الورقة البحثية سنحاول إظهار دورها في مجتمع المغرب الأوسط إبان الفترة الوسيطة من خلال دراسة الجانب الاقتصادي لها، بإعطاء بعض الأمثلة عن الصنائع التي اقتحمت مجالها، وهل حققت من خلالها ما كانت تصبو إليه.
في الحقيقة هذه الصنائع اختلفت أهميتها حسب درجة رقيها من راقية تحتاج إلى مستوى تعليمي نفعت بها بنات جنسها، وأخرى أخذتها عن كبيرات نسوة الأسرة، واحترفتها عن طريق الممارسة فقط، ومنه وجدنا بأن من نسوة المغرب الأوسط من امتلكت الثروة فكانت مستقلة ماديا عن الرجل، ومنها من وقفت مساعدة أسرتها فكانت نعم السند، في حين أثارت بعض الصنائع استهجان ومعارضة شرائح واسعة من المجتمع.
الكلمات المفتاحية: المرأة؛ المغرب الأوسط؛ المعلمة، التاجرة، القابلة.

Abstract:
Women are considered mothers, sisters, wives and daughters, and they had an effective role in society alongside the man, and in this research paper we will try to show their role in the Center Maghreb society during the intermediate period by studying the economic aspect of it, by giving some examples of occupations that broke into its field, and it achieves any of what she aspired to.
In fact, these professions differed in importance according to the degree of their progress, from a classy one that needs an educational level that benefited the girls of her gender, and

[1]- المرسل المؤلف.

others that she took from the elder women of the family, and professionalized them through practice only, and from it we found that among the women of the Center Maghreb were those who possessed wealth and were financially independent from the man, including Whoever stood up to help her family was the blessing of support, while some occupations provoked disapproval and opposition from large segments of society.

Key words: woman; centrer Maghreb; teacher, merchant, midwife

مقدّمة:

لقد لعبت المرأة في العصر الوسيط أدوارا مختلفة على عدة أصعدة، وفي شتى شؤون الحياة اليومية منها الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، لتطوير نفسها وبيتها وحتى دولتها، فقد كانت معلمة، قابلة، تاجرة، وحرفية.

ومنه نطرح الإشكالية التالية: **مشاركة المرأة في تنمية الاقتصاد في المغرب الأوسط، هل ينم عن مساواة بينها وبين الرجل أم يعود إلى حاجتها؟**

وتكمن أهمية الموضوع في معرفة مسيرة المرأة الجزائرية في العصر الوسيط، ومساهمتها الفعالة في حفظ المجتمع، وكذا إلقاء الضوء على العمل النسائي ومعوقاته وأهم الآراء التي تم تداولها في أوساط المجتمع الذي عاشت فيه آنذاك، وكذلك محاولة إضفاء قيمة لعمل المرأة وإعطائه شيئا من صفات الجهاد.

إضافة إلى محاولة معرفة الذهنية السائدة لدى النساء الوسيطيات اللواتي كن يعملن، أكن يسعين لتحقيق الذات أم المال، من منطلق عوزهن وحاجتهن، أم أنهن كن يسعين لفرض الذات من خلال إسهاماتهن في الاقتصاد والتنمية.

أما عن المنهج المتبع فطبيعة الموضوع تحتم استخدام المنهج التاريخي باعتبارنا نتحدث عن المرأة خلال الفترة الوسيطة، ونستعرض أمثلة تاريخية، إضافة الى المنهج الوصفي الذي استخدمناه في وصف الصنائع والحرف التي اشتغلت بها النساء.

1- الفهم الخلدوني للصنائع ومكانة المرأة فيها:

قد ناقش ابن خلدون في مقدمته مجموعة من المسائل المتعلقة بالصنائع، وكسب المعاش على حد تعبيره، وأفرده بابا كاملا أسماه المعاش ووجوهه، استهله بشرح للرزق والمكسب [1].

فالكسب حسبه هو تحصيل للحاجات والضرورات التي تلزم الإنسان بسعي أو بغيره كالمطر المصلح للزرع، فإذا كانت ثمار الكسب تعود على العبد بالمنفعة سمِّي رزقًا، ومنه يكون الكسب جالبا للرزق[2].

في حين كان المعاش السعي لابتغاء الرزق بعدة طرق كالفلاحة والصناعة والتجارة والجباية [3]، فالفلاحة إذا ووفق ما أورده العلامة من أقدم أوجه المعاش لأنها بسيطة وفطرية في الانسان ولا تحتاج الى علم، وقسمت الى زراعة وتربية للحيوانات [4]، هذه الحيوانات سوف ينتفع من أصوافها وجلودها والتي ستدخل في صناعات تحويلية، ووصفها ابن خلدون من مهن المستضعفين ولا ينتحلها أهل الحضر [5].

لذلك سنجد في مجتمع العامة والبدو منهم خاصة مكانة للنساء في ابتغاء الرزق في هذا المجال، فمنهن بائعات اللبن والبيض والخضر والفواكه والدواجن ومربيات دودة القز والأنعام بأنواعها، وعاملات في زراعة الأرض وجني المنتوج بعد ذلك [6].

أما عن الصنائع فكانت مرتبطة بالتراكم الحضاري، لما تحتاجه من علم وابتكار وإعمال للفكر، وانقسمت إلى بسيط والذي لا غنى عنه كونه يختص بإنتاج الضروريات، والمركب للكماليات التي تظهر عندما تصبح الدولة في أوج ازدهارها وميول أهلها للترف [7].

في الحقيقة قسم ابن خلدون الصنائع إلى ضرورية كالفلاحة والحياكة والبناء والتجارة، وشريفة كالتوليد والطب والكتابة والوراقة والغناء [8]، فبالتوليد (القابلة) يتم العناية بالمولود وأمه، في حين حارب الطب الأمراض وحفظ الصحة البدنية والعقلية، واختصت الكتابة بحماية الأفكار والعلوم من الضياع، غير أن الغناء فكان من وسائل تسلية صفوة المجتمع [9].

والملاحظ أن ابن خلدون في فكره خص المرأة بمكانة في الصنائع الشريفة التي كان في مستهلها التوليد، حيث قال في هذا الشأن: " هي مختصة بالنساء في غالب الأمر، لما أنهن الظاهرات بعضهن على عورات بعض، وتسمى القائمة على ذلك منهن القابلة"[10].

ويبدو أن القابلة أخذت عدة أدوار في عملها، إذ أنها تقمصت مكان طبيب النساء والتوليد وكذا طبيب المسالك البولية فيما يخص الأمراض التي تصيب النسوة، كما قامت مقام طبيب الأطفال فيما تعلق بالمواليد، في حين اعتمد القضاء شهادتها على أساس الطب الشرعي في وقتنا هذا فيما يخص الحمل والإجهاض والعذرية والجنس[11]، وكل ذلك يستدعي منها العلم والتجربة والخبرة والورع خاصة عندما يتعلق الأمر بالشهادات.

وإذا انتقلنا إلى نوع آخر من الصنائع الشريفة على حد وصف ابن خلدون نجد أن الغناء والذي مما لا شك فيه نظم الكلام وتلحينه وفق أنغام متعارف عليها مرفوق بالموسيقى [12]، وبطبيعة الحال أخذت المرأة مكانتها في هذا المجال مثل ما أوجدت لنفسها فرصة فيما استعرضناه سابقا من صنائع، لما امتلكت من صوت جميل في العديد من المناسبات كالأعراس هذا بالنسبة للمرأة الحرة، أما المرأة غير الحرة فقد حضرت مجالس الخلفاء والفئة المترفة من المجتمع[13].

ودون أن ننسى الكتابة التي هي رسوم وأشكال حرفية تدل على الكلمات المسموعة، وهي صناعة شريفة لأنها تختص بالإنسان دون الحيوان، وتحفظ العلوم من الزوال[14]، ومما لا شك فيه فالمرأة اشتغلت بذلك كونها بلغت مبلغا من التعلم في مجتمع الجزائر الوسيطة على مختلف فتراتها.

2- الصنائع التي اشتغلت بها المرأة في المغرب الأوسط:

شكلت المرأة شريحة هامة من المجتمع الجزائري الوسيط، إذ اعتبرت عنصرا فاعلا له دوره حتى في المجال الحرفي والصناعي، حيث لم ينحصر دورها في تشكيل الأسرة من زواج وخدمة للزوج ثم انشغالها بتربية الأبناء فقط، بل تعداه الى مشاركة الرجل في الأعمال الفلاحية والتجارية والصناعية[15].

ويبدو أنه كان شائعا لدى مختلف الفئات الاجتماعية أن المرأة ضعيفة غير قادرة على تحمل المسؤوليات خارج منزلها، والأمثلة التاريخية في هذا الصدد كثيرة[16]، فهي دائما تحت حماية الرجل كونها غير قادرة على تحمل المسؤوليات، وأقل قيمة منه، نظرا للفهم الخطأ للشريعة وما أقرته بخصوصها، فراحوا يصفونها بالنقصان والجهل، هذه النظرة الدونية جعلت منها تحت وصايته دوما أيا كانت درجة قرابته لها، وعادة ما كانت تنتهك حقوقها، باعتبارها لا حق لها، ووصل الحد بهم إلى مساواة عقلها وعقل الصبي [17].

ووفقا لهذا الفهم والنظرة لها انحصر عملها داخل جدران البيت، مما جعلها مجرد تابع للرجل تقوم بخدمته في الأمور الروتينية، هذا ما أدى الى تفاوت بينهما على الدوام[18]، وفي كثير من الأحيان يتم

النظر إليها باعتبارها مصدر للفتن والصراعات[19]، وعلى خلاف المدينة تمتعت المرأة في البادية بموقع هام في عمليات الإنتاج أفضل من المرأة الحضرية[20].

وأمام التفاوت في الثروة بينها وبين الرجل جعلها في كثير من الأحيان تحت رحمته وتسلطه، مما جعلها تلج سوق العمالة لأمرين مهمين هما: الحاجة الملحة وعدم تحقيق الاكتفاء داخل الأسرة والرغبة في تحقيق الثراء، وفيما يلي سنحاول تسليط الضوء على أهم المجالات التي عملت بها بأخذ نماذج لتعدد المهن التي امتهنتها.

أ- صنائع اجتماعية: تنوع عمل المرأة في هذا المجال باعتبارها جزء من المجتمع، فللمرأة خصوصية في مجتمع المغرب الأوسط خلال الفترة الوسيطة، لذلك هناك من الخدمات التي توجب تقديمها من طرف المرأة لبنات جنسها، ومنه سنحاول في هذه الورقة البحثية تناول ثلاث نماذج عن ذلك:

أ-1 القابلة وأمينة النساء: بالرغم من مساعدة نسوة العائلة للأم الصغيرة أثناء الولادة، إلا أن وجود القابلة في ذلك الوقت يعد أمرا ضروريا [21]، فالقابلة هي القائمة على توليد النساء والاعتناء بالمولود الجديد، أو ما وصفه ابن خلدون بالتوليد، وعرف ذلك بقوله: "هي العمل على استخراج المولود الآدمي من بطن أمه من الرفق في إخراجه من رحمها وتهيئة أسباب ذلك، ثم ما يصلحه بعد الخروج على ما نذكر"[22]، ويمكن أن تشبه بطبيبة أمراض النساء في وقتنا هذا.

وبخلاف القابلة فالأمينة لها دور كبير في القضاء في تلك الفترة، إذ يكلفها القاضي من أجل التأكد من بعض أمور النساء عند ما يحدث صراع أسري وقطع الشك باليقين مما تدعيه المرأة من أضرار ألحقها الزوج بها، وإثبات للحمل أو جنس المولود [23]، وهذا من منطلق أنها تستطيع الاطلاع على أمور النساء الخاصة.

ووفقا لذلك تقوم القابلة بالتوليد ورعاية الأم الحامل طوال مدة الحمل وأثناء الولادة، بحيث تحاول إنجاح إخراج الجنين من بطن أمه، عاملة على تخطي كل الصعوبات التي قد تعترضها، من عسر الولادة، واختناق الطفل، وعدم خروج المشيمية، وتقوم أيضا بدور طبيب الأطفال من الولادة الى الفطام، فكانت أفضل من الطبيب الماهر نظرا للممارسة الطويلة في هذا المجال، فإذا صار الفطام انتهى دور القابلة [24].

ولم يقتصر دور القابلة على التوليد ورعاية الوليد، وإنما تعداه إلى قيامها بدور طبي يعرف اليوم بطب الكلى والمسالك البولية، فكانت تعمل على إخراج حصى المثانة عند المرأة لتعذر كشف الطبيب عليها[25].

وفي هذا السياق أشارت المصادر الى وجود القوابل في المغرب الأوسط لقلة الأطباء المختصين في طب النساء والتوليد[26]، وذكرت وجود طبيب واحد في هذا المجال ببجاية خلال القرن السابع وهو أبو القاسم محمد ابن أحمد ابن محمد الأموي[27]، وحتى مع وجود الطبيب فبحسبنا يجب أن تساعده القابلة في عمليات الكشف على النسوة.

والشائع أن أجور القابلات كانت مرتفعة في المنطقة، ولكنهن في الغالب تقاضينها من الأب سواء كان متزوجا بالأم أو مطلقا لها[28]، في حين عندما تقوم بساعدة القضاء فإنها تتقاضى أجرتها من بيت مال المسلمين أو من عند من استدعى وطلب شهادتها[29].

أ-2 الماشطة: وهي التي تختص بتجهيز العروس يوم زفافها وذلك بتسريح شعرها وتزيينها، وعملت في هذا المجال المرأة المسلمة والذمية على حد السواء [30]، إذ أخذت الماشطة دورين: الأول تجميلي حيث تهتم ببشرة العروس وإخفاء العيوب منها بواسطة ما تملكه من مراهم ووسائل زينة وتخضب أيديها

وأرجلها بالحناء[31]، والثاني دور استخباراتي تجسسي لمعرفة ما في البيوت لترددها عليها، كما كانت توجه النسوة الى اقتناء بعض الأعشاب والمواد التي كانت تستعمل لهذا الغرض آنذاك[32].

أما أجرتها فيبدو أنها كانت تقدم لها من طرف العروس ووليها غالبا، لأن المصادر لم تتحدث عن هذا الشأن، ويبدو أن أجرتها تمثلت في بعض الدراهم المقدمة من طرف أهل العروس، إضافة إلى ما كانوا يهدونها من طعام الوليمة[33].

وأمام بعض الممارسات التي قد تمارس من طرف الماشطة فقد تحفظت المصادر الفقهية بشأن عملها كونها قد تقدم على مخالفات للشريعة في مجال التجميل، وكان الأزواج لا يحبذون عمل نسائهم في هذا المجال، وفق ما ورد في إحدى النوازل أن واحدة اشترطت على زوجها الاستمرار في العمل بعد الزواج، لكنه تراجع بعد ذلك[34].

أ-3 الغسالة: كانت النسوة يقمن بغسل الثياب والأفرشة للأسر الثرية كسبا للرزق الحلال، وعادة ما كانت تقوم بذلك النساء السوداوات، ووفقا لذلك أورد الغبريني أن الفقيه أبو زكريا الموصلي أعتق امرأة سوداء مقابل غسل ثياب الفقراء [35].

كما شهد المغرب الأوسط وجود الغسالات اللاتي كن يغسلن الموتى من النساء والأطفال دون السبع سنوات وعرفن بالأمازيغية تمسيرذين[36].

ب- صنائع اقتصادية: لأجل ترقية المستوى الاقتصادي للمرأة ومحيطها الاجتماعي قامت باقتحام العديد من الصنائع التي قد تعود بالربح المادي عليها، علها بذلك تغير الواقع المادي الصعب الذي تحياه، منافسة بذلك الرجل فقد اشتغلت في الكثير من الصنائع ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر:

ب-1 الفلاحة: وصفها ابن خلدون بأنها من معاش المستضعفين، وأهل العافية من البدو[37]، ووفقا لذلك قامت بها بعض النسوة البدويات، اللواتي كن يخرجن إلى جوار الرجل للحقل لفلح الأرض، وسقي المزروعات وحصد الزرع [38]، إضافة الى جمعه ودرسه[39]، تغطية لحاجات الأسرة، وفي حال وجود فائض قمن ببيعه.

وتماشيا مع ما ذكرناه قامت بجني الزيتون والعنب ومختلف الغلات[40]، وبذلك كانت تساهم في زيادة دخل العائلة، على عكس النسوة الحضريات اللواتي تملكن الأراضي[41]، كما أنها رعت الماشية وانتفعت بلبنها وزبدها[42]، وربت الدواجن لإنتاج البيض[43]، وكل هذه المنتوجات تتكسب منها ولو كان ذلك قليلا.

كما شاركت المرأة الرجل في المزارعة والمغارسة[44]، ووقفت على قسمة الماء على السواقي، وكنسها إذا أصابها طمي وقذارة[45]، بحيث وُجد من النساء الحضريات اللواتي امتلكن أراضي ووكلن أزواجهن أو بعضا من الأهل من الرجال، وأجرنها للفلاحة أو الغراسة، وهذا التملك جاء عن طريق الوراثة أو مهورهن[46].

ب-2 الغزل والنسيج: تعتبر صناعة النسيج من أشهر الحرف الاقتصادية التي اشتغلتها المرأة في المغرب عامة والأوسط منه خاصة، ولا يكاد يخلو منزل فيه من المغزل، فكانت المرأة تغزل وتنسج الأثواب لأفراد عائلتها لكسوتهم، لكنها سرعان ما تفننت فيه واحترفته، ثم أصبح مصدر رزق لها ولعائلتها [47].

اشتغلت نسوة المغرب الأوسط بالغزل والنسيج وتفنن فيه حتى أضحت مناطق كثيرة من ربوعه مشتهرة بهذه الحرفة أو الصنعة مثل تلمسان وندرومة، وكان ذلك نتيجة للعديد من العوامل المساعدة مثل حياة البداوة التي كن يعشنها ووفرة الصوف، فضلا على أن أغلب البيوت عبارة عن خيام من صنعهن،

إضافة إلى نسجهن الملابس والزرابي والحنابل[48]، والأكسية الفاخرة، فكن يكسبن من ذلك أكثر من الرجال[49]، كما مارستها حتى النساء الحضريات[50]، فمثلا في تلمسان كن يصنعن الأكسية والأفرشة الرائعة التي تشبه الحرير في ملمسها، وكن يبعنها بأثمان باهظة[51].

وعن كيفية العمل فكانت النسوة تحضرن الصوف إلى خيوط رفيعة بعد غسله وإزالة الشوائب التي يمكن أن تلتصق به ثم تسريحه، ثم تحويله إلى خيوط بحيث كن يجلسن في مكان مرتفع ثم يرخين مغازلهم حتى تصبح الخيوط رفيعة، وكانت آلة النسيج بسيطة توضع في بهو المنزل أو في غرفة مضاءة، وما يميز ذلك تشارك مجموعة من النساء وتعاونهن في هذا الشأن[52].

ومن أشهر المناطق التي اشتهرت بهذه الصنعة في المغرب الأوسط، عنابة، وهران، تلمسان، ندرومة، برتشك، مستغانم ومليانة[53]، أما عن كيفية تسويقها فقد كانت المرأة النساجة تتوجه بسلعتها إلى السوق كي تبيعها، هذا ما أثار حفيظة الفقهاء لما ينجم من مفاسد في الأسواق، لذلك تكلف بعض الرجال الثقاة بهذه المهمة[54].

ب-3 الدلالة والتاجرة: لم يكن العمل التجاري حكرا على الرجل في جزائر العصر الوسيط، فقد راجت الأعمال التجارية وسط النسوة وفق ما أوردته المصادر التاريخية، فقد نسجن أنسجة مختلفة وبعنها في السوق المعروف بسوق النساء[55]، وهناك من مارسنها خارج السوق في الأزقة وأمام أبواب البيوت، وحتى خلال موسم الحج[56].

فقد بعن الغزل ومختلف المنسوجات وبعض الأغنام والدواجن، والخبز[57]، وأنواع المخللات كالزيتون[58]، ومواد التجميل مثل الحنة[59]، كما وجد بالمناطق البدوية بائعات اللبن[60] والبيض والدواجن وغلال الخضر والفواكه[61]، كما بعن الهررة أيضا[62].

ولم يكتفين بذلك فقد لعبت المرأة دور الوسيط بين البائع والمشتري، أو ما يعرف بالدلالة واقتصرت على نساء الطبقة الفقيرة اللاتي كن يجبن الشوارع ويدخلن البيوت لعرض سلعهن على النسوة[63] من حلي وأقمشة ومواد تجميل ويتقاضين أجورهن مقابل ذلك[64].

وكن أثناء ذلك يخرجن لقضاء حوائجهن سافرات الوجوه هذا ما لم يعجب الفقهاء باعتباره خروجا عن التقاليد[65]، ففي المنطقة المعروفة حاليا بوادي سوف كانت النسوة يخرجن الى السوق والبساتين سافرات الوجوه[66].

وبحسب بعض المصادر فالرجل لم يكن معارضا لخروج زوجته إلى السوق للمتاجرة بما تنتجه من غزل ونسيج طالما لم تخرج عن الآداب العامة وما هو متعارف عليه، فهذا الفقيه أبو بكر ابن هذيل كان يقتات من كد زوجته التي كانت تشتري الكتان وتخيطه ثم تبيعه[67].

ولأجل تحسين الوضع المعيشي وتوفير لقمة العيش وشراء ما يحتجنه من كسوة وأواني منزلية بطريقة حلال دون اللجوء إلى أعمال منافية للشرع والأخلاق لجأت بعض النساء إلى بيع خصلات من شعرهن جراء الفقر الذي كن يعشنه[68].

جـ صنائع ثقافية: ارتبطت الصنائع الثقافية بكل ما له علاقة بالتعليم والتعلم، أي أن منتحلها وجب عليه أن يكون له باع من التعليم، وبطبيعة الحال كان للمرأة في المغرب الأوسط حظ وافر من التعليم منذ فتح المغرب الأوسط، فكانت تحضر حلقات الدرس وتستزيد من ذلك، فمنها المعلمة والمرشدة والفقيهة والطبيبة.

ج-1 المعلمة: لقد اهتم المجتمع بالمرأة وبتعليمها فوجدت عالمة وشاعرة ومعلمة، وحسبنا كتب السير والطبقات التي تزخر بأسماء نساء برعن في مختلف العلوم، فكان العلم سببا في عتق أمة تدعى غزالة زمن الرستميين، وكان بعضهن يقيم حلقات الدروس في بيوتهن[69].

أتت النسوة يؤدين الصلاة في المساجد، وبعد الصلاة يحضرن حلقات الوعظ والإرشاد وينقلن ذلك الى بيوتهن[70]، وكن يجدن القراءة والكتابة، ومنهن معلمات ومدرسات وعالمات شغلن مقاعد التدريس والتعليم، فهذه أخت الإمام الرستمي أفلح برعت في علم الفلك[71].

ولعل اهتمام المرأة بهذا الأمر يعود إلى تشجيع الفقهاء الذين أفتوا بضرورة تعليم المرأة[72]، فكان منهن المعلمات والمدرسات يعتنين بتدريس الأطفال والنسوة، فكان أئمة الدولة الرستمية يستشيرون الفقيهات منهن[73].

ولم يقتصر التعليم في العصر الموحدي على الأمور الدينية والعلمية بل تعداه إلى التعليم المنزلي كالغزل والطرز والخياطة[74]، وفي عصر الزيانيين اشتهرت المعلمة مؤمنة التلمسانية التي كانت تنظم الشعر وكانت في غاية الثقافة[75]، وعرفت عائشة بنت الفقيه ابن الحسن المديوني بالشعر وتعبير الرؤيا جراء قراءتها ومطالعتها المستمرة[76]، وكانت أم مولاي عبد الرحمان صاحب قسنطينة (739-784ه/1339-1383م) تعلم نساء القصر في أمور تخصهن[77]، في حين كانت عائشة بنت أبو الطاهر عمارة أديبة خطاطة في بجاية ق7ه/ 13م[78].

ويجدر بنا التنبيه إلى أن دور المرأة في مجال الصنائع ذات الطابع الفكري والثقافي ظل باهتا، باستثناء البعض من نساء الخاصة اللواتي برعن في الخط والشعر، وأغلبهن ينتمين الى البيوتات العلمية أو من نساء الخاصة، كون المرأة عند العامة سرعان ما تتحمل مسؤولية الزواج والبيت وإنجاب الأطفال وتربيتهم[79].

وأمام سكوت المصادر التي بين أيدينا عن ذكر ذلك تعذر علينا استقاء المعلومات، باستثناء بعض الشذرات، رغم ما تلقته المرأة في المغرب الأوسط من تعليم خصوصا في حواضرها التي اشتهرت في العصر الوسيط على غرار القلعة، بجاية، قسنطينة وتلمسان.

خاتمة:

- لقد قسم ابن خلدون الصنائع الى ضرورية مثل الفلاحة، الحياكة والبناء، وشريفة كالتوليد والطب والكتابة، فكان الحضور النسوي قويا في كل منهما في مجتمع المغرب الاوسط، فنجد الفلاحة، الخياطة، الراعية، القابلة، المجملة، الخطاطة.
- لم تظل المرأة عالة على الرجل وخادمة له في منزله فحسب فقد شاركت في زيادة مدخول بيتها.
- اشتغلت المرأة في عدة مجالات ذات صلة بالمجتمع مقابل كسب مادي، فنجد القابلة تعتني بالأم وصغيرها أيما عناية، فوصف ابن خلدون لها ولعملها ينم عن مهارة فائقة، وتفانيا في عملها حتى فاقت الطبيب في هذا المجال.
- لم يقتصر عمل المزرعة والرعي على الرجل بل احترفته المرأة وأصبحت مالكة للأراضي، وهناك من اشتغلن بالحرث والزرع والحصد وتربية الحيوانات، فشاركن الرجل في ذلك، والسوق أيضا لبيع ما يربين من حيوانات وألبان وبيض.
- وجد بمجتمع المغرب الأوسط من يقوم بتزيين العروس والحرص على تأنقها، وإظهارها في أحلى حلة، لكن هذه المهنة لاقت استهجانا من طرف فقهاء المرحلة.

- كما أن هناك من النساء الفقيرات اللاتي اشتغلن بمهن ليست بالراقية مثل غسل ثياب الأغنياء مقابل كسب مادي، لسد رمق أبنائها وأسرتها.
- بلغت المرأة من الثراء مبلغه نتيجة اشتغالها بالنسيج والغزل وبيعها لمنتوجاتها حيث أصبح لها مكان خاص بها في السوق.
- بالرغم مما بلغته المرأة في العصر الوسيط من علم وثقافة وتفقه، إلا أن دورها لم يبرز كثيرا مقارنة بالأقاليم المجاورة.
- عموما لقد ساعدت المرأة أسرتها ووقفت في وجه الفاقة جنب الرجل، فحققت الاكتفاء الذاتي لعائلتها، كما أن البعض منهن حققن استقلالية مالية، وأصبحن يسابقن الرجل في الثراء.

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر:

- أبو بكر بن علي الصنهاجي المكنى البيذق (ت 524هـ/1129م)، أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1971.
- أبو حامد الغرناطي (ت565هـ/1170م)، كتاب تحفة الألباب ونخبة الإعجاب، تح: إسماعيل العربي، منشورات دار الآفاق الجديدة، المغرب، ط1، 1993م.
- أبو يعقوب يوسف ابن الزيات (ت627هـ/1230م)، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تح: أحمد التوفيق، منشورات كلية الآداب، الرباط، ط2، 1997.
- أحمد ابن أحمد الغبريني(ت704هـ/1304م)، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح: عادل نويهض، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط2، 1989.
- أحمد بن سعيد الدرجيني (ت670هـ/1271م)، طبقات المشايخ بالمغرب، تح إبراهيم طلاي، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، ج1.
- أحمد بن علي الخطيب المعروف بابن قنفذ (ت 810هـ/1407م)، أنس الفقير وعز الحقير، اعتنى بنشره محمد الفاسي، أدولف فور، المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط.
- أحمد بن عبد الرؤوف (ت424هـ/1033م)، رسالة في آداب الحسبة والمحتسب، تح: ليفي بروفنسال، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1955.
- أحمد بن محمد ابن عذارى (ت بعد 712هـ/1312م)، البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، تح: بشار عواد معروف، محمود عواد بشار، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط1، 2013م، ج3.
- أحمد ابن يحيى الونشريسي (ت914هـ/1509م)، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى إفريقية والأندلس والمغرب، خرجه جماعة من الفقهاء، إشراف محمد حجي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية، ط1، 1401هـ/1981م.
- حسن الوزان (ت957هـ/1550م)، وصف إفريقيا، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ط2، 1983م، ج1.
- خلف ابن عباس الزهراوي (ت404هـ/1017م)، كتاب الزهراوي في الطب لعمل الجراحين، تح: محمد ياسر زكور، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، 2009.
- عبد الرحمن ابن خلدون (ت808هـ/1401م)، المقدمة، تح: عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب، دمشق، ط1، 1425هـ/2004م، ج2.
- عبد الرحمن الدباغ (ت839هـ/1436م)، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تح محمد الاحمدي أبو النور، محمد ماضور، مكتبة الخانجي، مصر، ج2.
- عبد الله ابن محمد المالكي (ت بعد 453هـ/1062م)، رياض النفوس في علماء القيروان وتونس، وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم، وأوصافهم، تح بشير البكوش محمد العروسي المطوي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1981، ج2.

- عبيد الله بن أحمد الزجالي (ت694هـ/1295م): أمثال العوام في الأندلس، تح محمد بن شريفة، منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي، المغرب، ج1.
- محمد العبدري (ت720هـ/1321م): الرحلة المغربية، تح محمد الفاسي، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1968م.
- محمد بن أحمد العقباني (ت871هـ/1467م)، تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر، تح: علي الشنوفي،

Extrait de bulletins d'études Orientales de l'institut Français de Damas, 1967,

المراجع:

- ابراهيم القادري بوتشيش، المغرب والأندلس في عصر المرابطين المجتمع، الذهنيات، الأولياء، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1993.
- إبراهيم بكير بحاز، الدولة الرستمية (160-296هـ/777-909م) دراسة في المجتمع والنظم، كتابك، ط1، 1440هـ/2019م.
- عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002، ج1.
- عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن 6هـ/ 12م، دار الشروق، القاهرة، 1983م.
- كمال السيد أبو مصطفى، جوانب من حضارة المغرب الإسلامي من خلال نوازل الونشريسي، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 1997.
- محمد بوركبة، الجزائر الاجتماعية في عهد الدولة الرستمية (160-296هـ/ 777-909م)، دار الكفاية.
- محمد دبوز، تاريخ المغرب الكبير، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1383هـ/ 1963، ج3.
- محمد عبد الرحمن مرحبا، جديد في مقدمة ابن خلدون، منشورات عويدات، بيروت.
- مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية، منشورات الحضارة، 2009، ج2.
- نجلاء سامي النبراوي، المرأة العاملة في المغرب والأندلس، دراسة تاريخية وثائقية، الألوية.
- فوزية كرراز، دور المرأة في الغرب الإسلامي من القرن الخامس الهجري إلى منتصف القرن السابع الهجري (ه11-13م)، دراسة في التاريخ الحضاري والاجتماعي للغرب الاسلامي، دار الأديب للنشر والتوزيع، وهران.

الأطاريح الجامعية:

- بختة حاج جلول، المرأة في المجتمع الزياني، مذكرة ماجستير في التاريخ الاسلامي، جامعة وهران، 2015.
- سمية مزدور، المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط (588-927هـ/ 1192-1520م)، مذكرة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، 2008-2009م.
- عبد الكريم بصديق، البيوع والمعاملات التجارية في المغرب الاوسط وأثرها على المجتمع ما بين القرنين (6-9ه/12-15م)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط الاسلامي، جامعة وهران، 2018م.
- مختار حساني، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للدولة الزيانية، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر، 1985م.
- نبيلة عبد الشكور، إسهام المرأة المغربية في حضارة المغرب الاسلامي منذ النصف الثاني من القرن السادس إلى نهاية التاسع للهجرة-الثاني عشر – الخامس عشر الميلاديين، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2008.
- مليكة حميدي، المرأة المغربية في عهد المرابطين 448-541هـ/1056-1146م، مذكرة ماجستير في التاريخ الاسلامي، جامعة الجزائر، 2002م.

المقالات:

- نبيلة عبد الشكور، المرأة في الاسطغرافيا الإباضية، مجلة التراث، مخبر دراسة وتحقيق مخطوطات المنطقة وغيرها، ع 12، فبراير2014.
- نعيمة بوكرديمي، صورة المرأة في العهد الزياني، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، منشورات جامعة مصطفى اسطمبولي، معسكر، ع12، ديسمبر2017.

الهوامش:

(1) عبد الرحمن ابن خلدون (ت 808هـ/1401م)، المقدمة، تح: عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب، دمشق، ط1، 1425هـ/2004م، ج2، ص 59.
(2) محمد عبد الرحمن مرحبا، جديد في مقدمة ابن خلدون، منشورات عويدات، بيروت، ص 101-102.
(3) عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص 59-60.
(4) محمد عبد الرحمن مرحبا، المرجع السابق، ص 103.
(5) عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص82.
(6) نجلاء سامي النبراوي، المرأة العاملة في المغرب والاندلس، دراسة تاريخية وثائقية، الالوية، ص 4.
(7) محمد عبد الرحمن مرحبا، المرجع السابق، ص 103.
(8) عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص 60-61.
(9) نفسه، ص 101.
(10) نفسه، ص 111.
(11) نجلاء سامي النبراوي، المرجع السابق، ص 7.
(12) عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص 130.
(13) نجلاء سامي النبراوي، المرجع السابق، ص29.
(14) عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص 136.
(15) نعيمة بوكرديمي، صورة المرأة في العهد الزياني، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، ع12، ديسمبر2017، ص 71.
(16) أحمد ابن محمد ابن عذارى (ت بعد716هـ/1312م)، البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، ت بشار عواد معروف، محمود عواد بشار، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط1، 2013م، ج3، ص17
(17) أبو حامد الغرناطي(ت565هـ/1170م)، كتاب تحفة الألباب ونخبة الإعجاب، تح إسماعيل العربي، منشورات دار الآفاق الجديدة، المغرب، ط1، 1993م، ص33
(18) ابراهيم القادري بوتشيش، المغرب والاندلس في عصر المرابطين المجتمع، الذهنيات، الاولياء، درا الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1993، ص 44-45.
(19) عبيد الله ابن أحمد الزجالي (ت694هـ/1295م): أمثال العوام في الأندلس، تح محمد بن شريفة، منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي، المغرب، ج1، ص242.
(20) أبو بكر ابن علي الصنهاجي المكنى البيذق (ت 524هـ/1129م): اخبار المهدي ابن تومرت وبداية دولة الموحدين، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1971، ص 21.
(21) نبيلة عبد الشكور، اسهام المرأة المغربية في حضارة المغرب الاسلامي منذ النصف الثاني من القرن السادس الى نهاية التاسع للهجرة - الثاني عشر – الخامس عشر الميلاديين، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2008، ص 288.
(22) عبد الرحمن ابن خلدون: المصدر السابق، ج2، ص 111.
(23) أحمد ابن يحيى الونشريسي (ت914هـ/1509م)، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى افريقية والاندلس والمغرب، خرجه جماعة من الفقهاء، اشراف محمد حجي، وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بالمملكة المغربية، ط1، 1401ه/1981م، ج3، ص17، 53، 482.
(24) عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص 111.
(25) خلف ابن عباس الزهراوي (ت404هـ/1017م)، كتاب الزهراوي في الطب لعمل الجراحين، تح محمد ياسر زكور، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، 2009، ص395.
(26) أحمد ابن يحيى الونشريسي، المصدر السابق، ج4، ص54-55.

(27) سمية مزدور، المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط (588-927ه/ 1192-1520م)، مذكرة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، 2008-2009م، ص183؛ وبختة حاج جلول: المرأة في المجتمع الزياني، مذكرة ماجستير في التاريخ الاسلامي، جامعة وهران، 2015، ص81.

(28) أحمد ابن يحيى الونشريسي، المصدر السابق، ج4، ص4

(29) نفسه، ج3، ص414.

(30) نفسه، ج3، ص278.

(31) نفسه، ص278.

(32) نجلاء سامي النبراوي، المرجع السابق، ص 20

(33) نفسه، ص 19.

(34) أحمد ابن يحيى الونشريسي، المصدر السابق، ج3، ص 278.

(35) أحمد ابن أحمد الغبريني (ت 704هـ/1304م)، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح عادل نويهض، منشورات دار الافاق الجديدة، بيروت، ط2، 1989، ص 178.

(36) نبيلة عبد الشكور، المرأة في الاسطغرافيا الإباضية، مجلة التراث، ع 12، فبراير2014، ص 101.

(37) عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص 81.

(38) مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية، منشورات الحضارة، 2009، ج2، ص36؛ ونعيمة بوكرديمي: المرجع السابق، ص 71.

(39) أحمد ابن يحيى الونشريسي، المصدر السابق، ج 8، ص 166.

(40) نفسه، ج9، ص 106.

(41) نفسه، ج6، ص75، 76.

(42) البيذق: المصدر السابق، ص21.

(43) نعيمة بوكرديمي: المرجع السابق، ص71.

(44) أحمد ابن يحيى الونشريسي، المصدر السابق، ج8، ص172.

(45) نفسه، ج8، ص 40.

(46) نفسه، ج3، ص291.

(47) نفسه، ج6، ص58.

(48) مختار حساني، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للدولة الزيانية، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر، 1985م، ص244.

(49) حسن الوزان(ت957هـ): وصف افريقيا، تر محمد حجي ومحمد الاخضر، دار الغرب الاسلامي، ط2، 1983م، ج1، ص183؛ وفوزية كرراز، دور المرأة في الغرب الاسلامي من القرن الخامس الهجري الى منتصف القرن السابع الهجري (ه11-13م)، دراسة في التاريخ الحضاري والاجتماعي للغرب الاسلامي، دار الاديب للنشر والتوزيع، وهران، ص 122.

(50) عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن 6ه/ 12م، دار الشروق، القاهرة، 1983م، ص213، 215، 217؛ ومليكة حميدي: المرأة المغربية في عهد المرابطين 448ه-541ه/1056م-1146م، مذكرة ماجستير في التاريخ الاسلامي، جامعة الجزائر، 2002م، ص 148.

(51) حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 132.

(52) نفسه، ص132.

(53) نفسه، ص31-32-33.

(54) أحمد بن عبد الرؤوف (ت 424هـ/1033م)، رسالة في آداب الحسبة والمحتسب، تح ليفي بروفنسال، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1955، ص87.

(55) محمد بن أحمد العقباني (ت 871هـ/1467م)، تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر، تح: علي الشنوفي، extrait de bulletin d etudes Orientals de l institut francaisde damas,1967 ، ص263.

(56) أحمد ابن يحيى الونشريسي: المصدر السابق، ج5، ص2، 8.
(57) أبو يعقوب يوسف ابن الزيات (ت 627هـ/1230م)، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تح أحمد التوفيق، منشورات كلية الآداب، الرباط، ط2، 1997، ص274، 303.
(58) أحمد بن يحيى الونشريسي، المصدر السابق، ج6، ص78.
(59) نفسه، ج5، ص99
(60) البيذق، المصدر السابق، ص 21.
(61) نجلاء سامي النبراوي، المرجع السابق، ص 25.
(62) عبد الرحمن الدباغ (ت 839هـ/1436م)، معالم الايمان في معرفة اهل القيروان، تح: محمد الأحمدي أبو النور، محمد ماضور، مكتبة الخانجي، مصر، ج2، ص 343.
(63) أحمد بن يحيى الونشريسي، المصدر السابق، ج5، ص238-239.
(64) نفسه، ج12، ص106.
(65) كمال السيد ابو مصطفى، جوانب من حضارة المغرب الاسلامي من خلال نوازل الونشريسي، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 1997، ص 19.
(66) عبد الكريم بصديق، البيوع والمعاملات التجارية في المغرب الاوسط وأثرها على المجتمع ما بين القرنين (6-9هـ/12-15م)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط الاسلامي، جامعة وهران، 2018م، ص 134.
(67) عبد الله ابن محمد المالكي (ت بعد 453هـ/1062م)، رياض النفوس في علماء القيروان وتونس، وزهادهم ونساكهم وسير من اخبارهم وفضائلهم، واوصافهم، تح بشير البكوش محمد العروسي المطوي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1981، ج2، ص 50.
(68) عبد الرحمن الدباغ، المصدر السابق، ج2، ص 345.
(69) ابراهيم بكير بحاز، الدولة الرستمية (160-296هـ/777-909م) دراسة في المجتمع والنظم، كتابك، ط1، 1440هـ/2019م، ص 74-75.
(70) محمد دبوز، تاريخ المغرب الكبير، دار احياء الكتب العربية، ط1، 1383هـ/ 1963، ج3، ص 406.
(71) محمد بوركبة، الجزائر الاجتماعية في عهد الدولة الرستمية (160-296هـ/ 777-909م)، دار الكفاية، ص 295.
(72) أحمد بن يحيى الونشريسي، المصدر السابق، ج11، ص 299.
(73) أحمد ابن سعيد الدرجيني (ت 670هـ/ 1271م)، طبقات المشايخ بالمغرب، تح إبراهيم طلاي، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، ج1، ص71.
(74) محمد العبدري (ت 720هـ/ 1321م)، الرحلة المغربية، تح محمد الفاسي، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1968م، ص36.
(75) نعيمة بوكرديمي، المرجع السابق، ص 75.
(76) عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002، ج1، ص 355.
(77) نبيلة عبد الشكور، اسهام المرأة المغربية في حضارة المغرب الاسلامي، ص 299.
(78) أحمد بن أحمد الغبريني، المصدر السابق، ص47.
(79) أحمد بن علي الخطيب المعروف بابن قنفذ (ت 810هـ/ 1407م)، أنس الفقير وعز الحقير، اعتنى بنشره محمد الفاسي، أدولف فور، المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، ص44-45.